جامعة سيدي محمد بن عبد الله

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز-فاس

شعبة الدراسات الإسلامية

الفصل الرابع

مادة: تاريخ الأديان

ذة. كريمة دوز

(1445هـ1446هـ/2024-2025م)



المحاضرة الأولى:

الدين احتياج إنساني

كان الدين ولا يزال محط اهتمام الإنسانية باختلاف سياقاتها الفكرية وتعدد مشاربها الفلسفية، ففكرة الألوهية ظلت قائمة وعابرة للعصور والحضارات، فحتى وإن رأى البعض خفوت وازع الدين في بعض الحقب التاريخية، وظن أن الإنسانية ماضية نحو الإلحاد، وبدأ يتنبأ باضمحلال الدين وتلاشيه كما حصل مع الأنطولوجي الألماني ديتريش بون هوفر (Dietrich Bonhoeffer) المعايش للنازية، فإن الدين بعث من جديد، وظل يطارد الفكر البشري بامتداد تاريخه، فهو كما يقول أرلوند توينبي" عنصر أساسي في الحياة الإنسانية، حيث لا يمكن أبدا تجاهله أو كبته في الوقت نفسه لفترة طويلة".

لذلك ينطلق كثير من الباحثين من حقيقة "ضرورة الدين" في الحياة الإنسانية، وأن الإنسان لا يمكن أن يسير بدون معتقد، و"متى ترك المرء دينه لم يلبث أن يعتنق بغريزته معتقدا آخر؛ صنما كان أم سحرا أم خر افة سياسية" على حد تعبير غوستاف لو بون في كتابه الآراء والمعتقدات، فالدين ملازم للفكر الإنساني، ومتى حاول الإنسان الانعتاق من الدين إلا وسقط فيه مجددا.

وقد عرف أرسطو الإنسان بالحيوان العاقل، لكن ربما يفضل تعريفه بالحيوان الديني، حيوان برؤية كونية دينية، إذ لبعض الموجودات أن تتشارك معه في العقل، لكنها لا تسعى إلى المتعالي، فهي لا تتوق إلى منح معنى لنفسها ووجودها من خلال تجاوز العالم المادي، فبحث الإنسان عن معنى لوجوده لازمة إنسانية تميزه عما سواه، غير أن هذه اللازمة بدأت تتضاءل في عصر الحداثة، فلا شك أن القوة الفكرية الرئيسية في القرن التاسع عشر كانت النمو المستمر ل"العلم" ومكانته المتز ايدة. وبنفس القدر من اليقين، كان هذا "العلم" يتعارض مع نموذج الإحياء الديني المسيحي"، الذي كان ضمانة نسبية لبعض أسئلة الوجود الموصولة بالإنسان، وخلافا للتطورات التقنية التي تعتمد على اليقين في جعل الأشياء ممكنة في الفضاء المادي، يبدو أن الحداثة لا تزرع سوى بذور الحيرة في الفضاء النفسي والروحي.

ولعل هذه الحيرة في البحث عن جواب لسؤال المعنى هي التي تفسر تحول الملايين حين يلتفتون إلى الممارسات الروحية أو الأيديولوجيات الدينية للحصول على جواب. "إنهم يعثرون فيها على رؤى كونية تؤويهم إلى مستوى متعال (تر انسندنتالي) من نوع ما، وتزودهم بمعنى عن غاية الحياة أو تزودهم على الأقل بنمط من الحياة يعدهم بالثواب أو يحقق رضاهم"، غير أن الإنسان المعولم أو الإنسان الحداثي لا يجد غالبا الراحة في العزاء الميتافيزيقي الذي توفره الأديان. لذلك تجد أكثر سكنة أوروبا غير مرتبطين بأي دين، وفي ذلك يقول كارلو سترينجر (Carlo Strenger): "وجدت مؤشرات أن ارتفاع المستوى التدريسي، قلل من

احتمال الانتماء إلى إحدى الديانات التقليدية. وكأن المساعي تتجه، نحو تحقيق الإشباع الروحاني على نحو فرداني. كأن يسعى الأشخاص للاستبطان، وممارسة التأمل، وغير ذلك من التنظيمات الدينية الحداثوية".

وهكذا تغير السؤال المعاصر عن التدين كما يرى نيكولا جي ونزل في دراسة له بعنوان " ما بعد الحداثة والدين" من "كيف أمتثل؟" إلى "كيف أختار؟"، لينتقل الدين بصورة متزايدة من الالتزام إلى الاستهلاك الديني. حيث أضحى مستهلكو الدين هم "سعاة" ينتقلون من دين إلى آخر ليجدوا ضالتهم في المعنى والرضى، وذلك في حركة تلخصها عبارة: أنا لست متدينا، لكنني شديد الروحانية.

وقد كان نولن بليغا حين لخص علاقة الإنسان الحداثي بالدين، أو بالأحرى كيف كيفت الحداثة الدين ليصير محملا بالبرغماتية والنفعية، مبينا أن الناس يريدون علاقة خاصة مع الرب ولكنهم يريدون أيضا ربا أسهل وأسرع وغير معترض وقابل للتجهيز في المايكرويف، فهم يريدون دينا خاليا من التكاليف والأوامر والنواهي، لكن في نفس الوقت يسد فجوة بحثهم عن معنى، وإن كانت الوجهة نحو تأليه الماديات.

فالإيمان يتبدل موضعا، ولكنه لا يموت أبدا، لأن احتياج الإنسان إلى الاعتقاد هو عنصر نفسي مسيطر كاللذة والألم، وإذا تداعى معتقد فذلك ليحل مكانه معتقد آخر، ولا حول للعقل إزاء هذه السنة القاهرة التي لا تتبدل، لذلك نجد أن الإنسان الغربي وإن تخلى عن الدين الذي كان فيه ما يطفئ رمق أسئلته الوجودية، اختلق من حيث لا يدري بؤرا جديدة للمعنى، تتناسب مع الفردوس الأرضي الذي يعيش فيه، فقد لا يكون توجهه إلا أوثان من خشب أو ذهب، ولكنه توجه إلى أصنام الحداثة الجديدة: كعبادة السوق والهوس بالماركات، وهذا حظ الإنسان ذو البعد الواحد من العبادة في العالم الجديد الشجاع.

وقد رأى الباحث في مركز الأنثروبولوجيا في جامعة أكسوفورد "جاستن باريت" أن المعتقد أمر فطري في النفس البشرية، حيث تجادل أطروحته بأن "كل إنسان لديه معتقدات دينية عند مجيئه إلى العالم. "يولد الأطفال مع الإيمان بالله". فالإنسان يولد ولديه استعداد للاعتقاد بأن كل شيء في العالم موجود لغرض ما، وبالتالي تم خلقه بواسطة كائن أسمى. فالأطفال يؤمنون بالله على الرغم من عدم تعليمهم الإيمان بالله من قبل آبائهم أو معلميهم. علاوة على ذلك، إذا نشأ هؤلاء الأطفال بمفردهم في جزيرة مهجورة، فإنهم سيؤمنون بالله، كما يقول باريت". فكل مولود يولد على الفطرة(1) هكذا قال نبينا الكريم ﷺ، غير أن هذه الفطرة قد تتلوث بفعل البيئة التي يحيا في أكنافها الإنسان.

فحقيقة الوجود الإنساني، تتلخص في أنه لم يترك سدى، مهملا غير مكلف، ولا يجزى على عمله، و إنما خلق لغاية وهدف ومسعى، فهو يختلف عن البهائم بالمهمة الوجودية التي أوكلها الله تعالى له، وأمره بها، لذلك يمكن أن نعد "الإيمان والعبادة كما

---

(1) قال رسول الله ﷺ: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء". (صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد البخاري، (مصدر سابق)، كتاب (الجنائز)، باب (إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام)، حديث (1358)، ج(1)، ص(346).

يرى طه عبد الرحمان الغايتان اللتان خلق من أجلهما الإنسان، بحيث يجب أن يطلب بلوغهما في كل عمل عمل يأتيه، وهذا يعني أن الإيمان لن ينحصر في الإقرارباللسان، و إنما تصبح حالة وجدانية ملازمة لإدراكات الإنسان كلها يستشعر معها لذة لا كاللذات كما أن العبادة لن تنحصر في وظائف الجوارح و إنما تصبح حالة سلوكية ملازمة لحركات الإنسان كلها، يجد فيها حرية لا كالحريات، حتى كأن الإيمان والعبادة أسلوب حياته، بل نمط وجوده(2).

المحاضرة الثانية:

مدخل للتعريف بعلم تاريخ الأديان

أولا. إضاءات مفاهيمية في الدين

يذهب البعض إلى اعتبار البحث في المفاهيم من قبيل الكماليات لا الضروريات، ومن النو افل لا الفر ائض، لكن قد يكون هذا مستحسنا إن كان المصطلح مما لا اختلاف فيه ولا خلاف، ومما هو معروف مشهوربين الباحثين، أما إذا كان المصطلح ينتمي إلى حقلين متباعدين في الرؤية والتصورفإن على الباحث أن يقوم بتفكيك المصطلح والبحث في مغزاه في كلا الحقلين، وهذا ما ذهب إليه عبد الوهاب المسيري حيث قال: " "المصطلحات ليست بريئة ولا محايدة، بل هي تعبرعن رؤى متكاملة ونماذج إدراكية ومعرفية، ومن ثم لابد من أن يقوم الباحث بعملية تفكيك للمصطلح ليصل إلى المفهوم الكامن وراءه"(3).

ومصطلح "دين" "Religion" من قبيل المصطلحات التي تباين المفكرون والفلاسفة في تعريفه في الحقل المعرفي الغربي، بله مقارنته بمفهومه في البيئة المعرفية الإسلامية، ونحن في هذا المبحث وقبل الخوض في مناهج دراسة تاريخ الأديان، يلزمنا أن ننظر في مفهوم " الدين" ونشأته، ليكون سؤال هذه المحاضرة ومحور إشكالها واستفهامها: ما هو الدين؟ ثم كيف نشأ في الأغوار السحيقة من تاريخ البشرية؟

1. مفهوم الدين لغة

قبل البحث في المفهوم الاصطلاحي للدين في الحقل المعرفي الغربي والإسلامي لابد وأن ننظر في مفهومه في اللغة، والذي يجب الإشارة إليه أن مفهوم الدين في اللغة يصنف على أنه من "الأضداد"، لاشتماله على معان متفاوتة، بل متناقضة أحيانا، فقد يعني على سبيل المثال " المذهب" و"الملة" و"الشريعة" و" المنهاج" و"القانون"، وكذلك " الحساب" و" القضاء" و"الجزاء" و" القصاص"، ومعاني " السلطان" و" الرفعة" و"الشأن"، ومعها أيضا: "الذل" و" الخضوع" و" الانقياد" و" التسليم" و"المقهورية"...، وكذلك العبادة والطاعة.

---

(2) روح الدين، طه عبد الرحمان، ص(105).

(3) العالم من منظور غربي، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة–مصر، الطبعة الأولى، (2001)، ص(143).

وقد بذل عبد الله دراز –رحمه الله- جهدا رياديا لتتبع هذه المادة والكشف عن معناها وخلص إلى أن مادة الدين تؤخذ من فعل متعد بنفسه (دانه يدينه) وتارة من فعل متعد باللام (دان له) وتارة من فعل متعد بالباء، (دان به).

فإذا قلنا (دانه دينا) عنينا أنه ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره وقضى في شأنه وجازاه وهو هنا يدور في معنى الملك والتصرف.

وإذا قلنا (دان له) أردنا أنه أطاعه وخضع له فهي تعني الخضوع والطاعة.

وإذا قلنا (دان به) أردنا اتخذه دينا ومذهبا أي اعتقده واعتاده وتخلق به.

وبعد أن قام دراز بهذه الدراسة المستفيضة قال في كتابه الين بحوث ممهدة لتاريخ الأيان: " وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا و انقيادا وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا وحكما وإلزاما وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها. ونستطيع الآن أن نقول أن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد فإن الاستعمال الأول الدين هو إلزام الانقياد وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد والاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له).

وفي الإنجليزية والفرنسية والألمانية، نجد أن اشتقاق كلمة الدين "RELIGION" –كما يقول لالاند- موضع جدل، فيستخرج معظم القدماء (كأغوسطين...) (RELIGIO) من (Religare) ويرون فيه فكرة الربط، سواء الربط الواجب تجاه الممارسات، أم الربط الجامع بين الناس، أو بين البشر والآلهة.

ويجب التنويه هنا بأن التعاريف اللغوية التي تعرضها لنا القواميس والمعاجم العربية والإنجليزية وغيرها عاجزة عن كشف حقيقة مفهوم "الدين" وماهيته، ولهذا ينبغي البحث عن المعنى الاصطلاحي الماهوي له.

أ. تعريف الدين في مجال التداول الغربي

قدم المفكرون الغربيون: فلاسفة وعلماء نفس واجتماع ولاهوتيون تعريفات متنوعة يمكن حصرها كما ذهب الباحث الإير اني عبد الحسين خسرنباه في: تعاريف معيارية، وماهوية وصفية، وأخرى وظائفية، نشير إليها فيما يلي باقتضاب:

- ✓ **التعاريف القيمية المعيارية:** ويظهر في هذا المقام تعريف الفيلسوف الألماني شلايرماخر (مؤسس الهرمنيوطيقا الحديثة) الذي يرى أن الدين موضوع للتجربة، وهو إحساسنا بالتعلق والتبعية المطلقة، وأن الشعور بالتناهي أمام اللامتناهي هو العنصر المعياري المشترك بين جميع الأديان، ويعرف تي ميل الدين بأنه وضع روحاني، وحالة فذة محترمة تسمى الخشية، ويعرفه وليام جيمس بأنه: الأحاسيس والأفعال والتجريبات التي يجدها الناس في خلواتهم مع الله

✓ **التعاريف الماهوية الوصفية:** يبحث هذا اللون من التعاريف عن كشف ماهية الدين، ويرى سبنسر أن الدين هو الاعتراف بحقيقة مفادها أن جميع الموجودات تجليات لقوة أسمى من علومنا ومعارفنا.

✓ **التعاريف الوظائفية:** هذا اللون من التعاريف ليس على نسق واحد، والقاسم المشترك بينها هو الحديث عن الوظائف التي يضطلع بها الدين، فيشير بعضها إلى الوظائف الفردية أو الاجتماعية للدين، ويقدم البعض الآخر تقريرا عن الوظائف والآثار الإيجابية والسلبية التي تنسب للدين، على سبيل المثال/ يذهب ريناخ إلى أن الدين مجموعة من الأوامر والنواهي التي تقف مانعا في وجه الأداء الحر لقدراتنا، ويرى سنغر: أن الدين منظومة من المعتقدات والأفعال، يوظفها بعض الناس لمعالجة القضايا الغائية في حياة البشر.

المفهوم الاجتماعي للدين:

لا يمكن أن نتحدث عن التعاريف الاجتماعية للدين دون أن يكون التعريف الدوركايمي أساس هذه التعاريف وصلبها، وذلك لذيوعه في مجال العلوم الاجتماعية، حيث عرف دوركايم الدين بقوله: "إن أي دين هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة، أي: منفصلة، محرمة، وهي معتقدات وممارسات تجمع في إيلاف أخلاقي واحد، يدعى جامعا، كل الذين ينتمون إليه"

وقد أصبح هذا التعريف، الأكثر شيوعا في علم الاجتماع الديني، ويعرف علماء الاجتماع الدين بالإشارة إلى المقدس، وليس على أساس الإيمان بإله، أو الآلهة، لأن ذلك يجعل المقارنة ممكنة من الناحية الاجتماعية، فهناك بعض المذاهب من العقيدة البوذية –مثلا- لا تتضمن الإيمان بإله. كذلك، يوضع الدين في مقابلة مع السحر، لأن الثاني ينظر إليه باعتباره ممارسة فردية وغائية (تستهدف تحقيق أغراض عينية)، وما يمكن استنباطه من تعريف دوركايم:

1- تقوم هذه المنظومة الدينية بالجمع بين أتباعها في جماعة واحدة بها قيم أخلاقية مشتركة

2- تقابل فكرة المقدس فكرة العلماني أو الدنيوي، فهي في موضع تقديس يسبب للمؤمنين بها الخوف منها، والرهبة، بينما الأمور الدنيوية، أو العلمانية لا تنشئ مثل هذه المشاعر

3- التركيز على مفهوم المقدس لا مفهوم الألوهية، لأن الألوهية ليست مشتركا بين كل الأديان فهناك بعض الفرق من الديانة البوذية لا تؤمن بالألوهية.

المفهوم النفسي للدين:

توجد تعريفات مختلفة للدين في علم النفس، وتختلف هذه التعريفات تبعا للمدرسة النفسية، التي تدرس الدين من زاوية نفسية، وتبعا للموقف الديني الذي يتبناه صاحب التعريف، فمنهم من يؤمن بالدين، ويمارس طقوسه وشعائره أو لا يمارسها، ومنهم من يعده عرضا من أعراض الصراعات النفسية، التي لم يتم علاجها.

ومن أشهر التعريفات النفسية للدين، تعريف فرويد، الذي حدد الأفكار الدينية في كتابه مستقبل وهم على أنها: "معتقدات، توكيدات تتعلق بوقائع العالم الخارجي (أو الداخلي) وعلاقاته، وهذه المعتقدات تعلمنا أشياء لم نكتشفها بأنفسنا وتتطلب من جانبنا فعل الإيمان".

ولعل من الواضح أن هذا التحديد مجرد تحديد لمجال الأفكار الدينية لكي يميزه من غيرها من الأفكار الأخرى العلمية والفنية.،. ومن التعريفات التي قدمها علماء النفس، تعريف إريك فروم في كتابه (التحليل النفسي والدين)، حيث يعرف الدين بأنه "أي مذهب للفكر والعلم تشترك فيه جماعة ما، ويعطى الفرد إطار للتوجيه، وموضوعا للعبادة".

ب. مفهوم الدين في مجال التداول الإسلامي

من يستقرئ تعريفات المتقدمين للدين يجد غالبها يتفق على تخصيص الدين بالإسلام ومن هذه التعريفات: ما ورد في حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد حيث عرف الدين بـ "ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام"، وهناك من عرفه بكونه "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل"، أو بتعبير آخر: " وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبيا كان أو قالبيا كالاعتقاد والعلم والصلاة".

وهكذا نجد أن هذه التعريفات قد حصرت الدين في "دين الحق" الإسلام، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران:19).

الفرق بين الدين والملة

حللنا، فيما سبق، التعاريف اللغوية والاصطلاحية للدين، ولكن في كثير من الأحيان نجد من يطلق لفظ ملة على الدين، فما المقصود بالملة؟ وهل هناك فرق بينهما؟

الملة مجموعة من العقائد، والأفكار النظرية، والسلوكيات العملية، التي يقود بها نبي من الأنبياء مجموعة من الناس، ويوحدهم في جماعة واحدة، مثل ملة إبراهيم عليه السلام.

ومن هنا، تكاد ترادف الملة الدين، فهي حمل المعنى نفسه غالبا، ولذا قال الرازي: " الملة: الدين والشريعة".

لكنهما يختلفان، حسب السياق، وطريقة الاستعمال، ووجهة النظر التي ننظر منها إلى كل منهما، وتتمثل هذه الفروق فيما يأتي:

1. تضاف الملة إلى النبي، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله، ولا إلى آحاد الأمة، فالدين ينسب إلى الله، والملة تنسب إلى الرسول، والمذهب ينسب إلى المجتهد.
2. لا تستعمل "ملة" إلا في جملة من الشر ائع دون آحادها، أي : تطلق على الشريعة ككل، لا على الجزئيات.

3. الشريعة، من حيت إنها تطاع، تسمى دينا، ومن حيث إنها تجمع، تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها، تسمى مذهبا.

- **-التعريف المختار للدين**

من خلال ما سبق من تعريفات لمصطلح الدين في مجال التداول المعرفي الغربي والآخر الإسلامي، وبعد النظر في الفرق بين الدين والملة واطلاقاتهما، يمكن أن نقول بأن الدين "نظام له قو انينه وتقاليده، وتعاليمه الخاصة، ويشتمل هذا النظام علة مجموعة من القضايا والتصورات النظرية الاعتقادية، وهي التي تسمى عقيدة، إلى جانب مجموعة من الشعائر والطقوس التعبدية والممارسات السلوكية، وهي التي تعرف بشريعة، ويتعلق هذان الجانبان، الاعتقادي أو النظري والشريعي أو العملي، بطاعة الفرد والجامعة، أو خضوعهم لموجود أو موجودات ذات طبيعة سامية مقدسة".

مراجع للتوسع

- الدين ضرورة حتمية، هوستن سميث
- الدين بحوث ممهدة لتاريخ الأديان، عبد الله دراز
- نشأة الدين وتطور العقدية الدينية، سامي النشار
- المرجع في سوسيولوجيا الدين، بيتر كلارك، ترجمة: ربيع وهبة، الشبكة العربية للأبحاث
- الآراء والمعتقدات، غوستاف لوبون

-the meaning of life in the world religions, Joseph Runzo and Nancy M.Martin, OneWORLD OXFORD, ENGLAND, (2000).

المحاضرة الثالثة

مناهج دراسة مقارنة الأديان

" المقدس هو عنصر في بنية الشعور، وليس مرحلة في تاريخ الشعور. وعلى المستويات الأكثر قدما من الثقافة فإن العيش بصفة كائن بشري هو في ذاته عمل ديني... وبعبارة أخرى، أن تكون- أو بالأحرى، أن تصبح –إنسانا يعني أن تكون متدينا". (مرسيا إلياد)

هذه العبارة التي نفتتح بها هذه المحاضرة تثير في عقولنا أو في قريحتنا الفكرية مجموعة من الإشكالات والتساؤلات، لعل أهمها و أبرزها: كيف يمكن التوصل إلى عمق التفكير الديني في الحياة الإنسانية؟

تمتلك الأبحاث الدينية مناهج متنوعة للغاية، وذلك لسعة دائرة الموضوع ونطاق الإشكاليات وتعقيد المسائل. نلاحظ أن المفسرين مثلا، يستخدمون مناهج متنوعة في فهم النص القرآني، فيتجهون إلى التفسير بالمأثور تارة، ويلجؤون إلى التفسير بالرأي تارة أخرى، ويتجه علماء الكلام المسلمون أحيانا إلى استخدام منهج البرهان في بعض مسائل الكلام، كما يستعينون حينا آخر بمنهج الجدل، وغير ذلك...

فما هي إذن المناهج التي يمكن الاستعانة بها في مجال الأبحاث الدينية؟ وهل ثمة منهج واحد في الدراسات الدينية؟

يعتقد البعض أن ظاهريات الدين (فينومينولوجيا الدين) هي الطريق الوحيد لقراءة الظواهر الدينية، ويعتقد آخرون أن الدراسة التاريخية أسلوب مفيد في قراءة الدين، فتنوع المناهج والاتجاهات يستدعي مسائل عديدة: ما هو المقياس في انتقاء منهج محدد من بين المناهج المتنوعة؟ وما هي العلاقات التي تربط بين المناهج المتنوعة؟

لكن في البدء ما هو المنهج؟

من ينظر في المعاجم اللغوية يلحظ اتفاقها على تحديد المنهج بالطريق، وقد وردت هذه المادة في استعمال الشريعة، قال الله تعالى: " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (المائدة: 48) وفسرها بالطريق الواضح الصحابة وكبار المفسرين، قال ابن جرير جامعا المعنى: " وأما المنهاج فإن أصله: الطريق البين الواضح، يقال هو طريق نهج ومنهج... ثم يستعمل في كل شيء كان بينا واضحا وسهلا" ينظر: جامع البيان 384/10)

وهكذا يراد بالمنهج الطريقة التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض.

• مناهج دراسة تاريخ الأديان

بعد الصراع الذي عرفته الحضارة الغربية بين الدين والعلم، لم يعد الدين هو مصدر المعرفة، بل أضحى الدين موضع تساءل وشك، وظهرت في الحقل المعرفي الغربي مناهج منبثقة من رحم العلوم الإنسانية لدراسة المقدس، كمحاولة لتفسير الظاهرة الدينية، ومن هنا ظهرت الكتابات حول (موت الإله، نهاية الدين، تأليه الإنسان، الاستغناء عن الديني)، ومن أهم هذه المناهج نذكر:

1. **المنهج الاجتماعي**: أبدى علم الاجتماع اهتماما لافتا بالدين منذ ظهوره. فقد توقف كبار منظري علم الاجتماع الكلاسيكي طويلا متأملين معنى الدين ووظائفه داخل المجتمع. حيث خصص أوغست كونت (Auguste Comte) وماكس فيبر (Max Weber) و إيميل دوركهايم (Émile Durkheim) أعمالا بأكملها أو أجزاء من مؤلفاتهم لموضوع الدين، فثلاثتهم اشتركوا في لحظة تاريخية كان يتفتق فيها مولد المجتمع الأوروبي الجدي، الذي تولد عن السياقين الثوريين للقرن التاسع عشر، (الثورة الصناعية، ثم الثورة الفرنسية).

وقد عالج هؤلاء الثلاثة مسألة المقدس، ودور الدين في المجتمع البشري كما حللوا الأشكال الأساسية للتنظيم الديني، بعد فهم العلاقة التي توجد بين النظام الاجتماعي والاقتصادي ومجموع القيم، ويرتكز هؤلاء وغيرهم ممن اهتم بدراسة الأديان وفق المنهج الاجتماعي على الوظيفة الاجتماعية للدين، فالدين ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد تنبع من الدور الذي يمارسه كل فرد باعتباره عضوا في المجتمع.

ويمكن عد دراسة أوجست كونت من أبرز الدراسات الاجتماعية عن تموقع الدين في التاريخ البشري، وفيما يلي تحليل للظاهرة الدينية في التصور الكُونْتِي:

• نشأة الدين وفق الرؤية الكونتية

ذهب غير واحد من الباحثين إلى اعتبار الدين عنصرا متأصلا في النفس البشرية، وجزء لا ينفصل عن كيانه الروحي، فقال ألروند توينبي في كتابه (العادة والتغيير)" الدين جزء من الطبيعة البشرية، والإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير دين"4،واستوحت الباحثة كاثرين أرمستورنغ من مصطلح (Homo-sapiens) (الإنسان العاقل)، الذي يستعمل كتعبير عن

---

[4] الموسوعة العربية، أنور الجندي، دار الكاتب اللبناني، بيروت–لبنان، (بدون طبعة، بدون تاريخ)، ج6، ص(51)

الجنس البشري مصطلح (Homo-religieux)(الإنسان المتدين)5، وذلك للدلالة على أن الدين ليس وثيق الصلة بالإنسان فقط، بل هويته التي تميزه وفطرته التي تعبر عن ثنائيته.

غير أن كتابات الوضعيين أمثال أوجست كونت وإميل دوركهايم، تمضي في الاتجاه المعاكس، ولا ترى في الدين تلك الفطرة التي جبلت عليها النفوس الإنسانية، فجاءت الأديان لتقومها وتحييها في المجتمعات البشرية.إن الدين في المدرسة الوضعية ليس إلا اختراع بشري وخر افة، بل وطور من الأطوار الذي ما فتئ يتقهقر ويدمر بفعل السيرورة التاريخية، وتقدم الفكر البشري الذي لا يحتاج في تفسير الظواهر الكونية اللجوء إلى الميتافيزيقا.

والناظر في الرؤية الكونتية لنشأة العقيدة الدينية، سيتبين له كيف طبق كونت قانون الحالات الثلاث ليبرهن على تطور التفكير الديني، فالمرحلة اللاهوتية أو الدينية باعتبارها الحالة الأولى من التفكير الإنساني، والتي مال فيها الناس إلى نسب كل الأحداث الموجودة حولهم إلى إرادات لكائنات فعالة تشبههم بصورة كبيرة أو قليلة6، مرت بحسب قانون التقدم الاجتماعي بثلاثة أطوار:

المرحلة الفتشية7(Fétichisme)وهي مرحلة تميزت بجنوح العقل البشري إلى عبادة أجسام مادية ألبسها الإنسان في تلك المرحلة لباس الألوهية، فهذه المرحلة التي افترض فيها الإنسان حلول قوى روحية في أجسام طبيعية، وعمل على استرضائها وطلب العون منها والتضرع لها عند الحاجة، ستعقبها مرحلة متقدمة تمكن فيها العقل البشري من التمييز بين تلك الأشياء كمواد غير فاعلة وبين المكون الفاعل أو المحرك لها، فهذا الفصل بين ما هو مادي وما هو مفارق للمادة،سيؤدي إلى تبلور فكرة تعدد الآلهة في الفكر البشري، لذلك سمى كونت هذه المرحلة بتعدد الآلهة، وهي " أكثر الدرجات الثلاث تمييزا للحالة اللاهوتية، يسلب فيها عن الكائنات الطبيعية ما كان خلع عليها من حياة، ويضيف أفعالها إلى موجودات غير منظورة تؤلف عالما علويا"، كعبادة الإنسان القديم لآلهة النار بعدما كان يعبد الرعد والبرق في المرحلة الفيتشية.

فتميز هذه المرحلة، يتمظهر في الاستطاعة البشرية على التأمل والتفكر الذي مكنها من التمييز والتفريق بين ما هو جزء من الطبيعة المادية (الشمس، النجوم، السماء، الجبال، الشجر...إلخ) وبين القوى المحركة لها الخارجة عنها وهي الآلهة المؤثرة فيها.

ثم يصل الفكر الديني إلى أوج تطوره في مرحلة التوحيد الإلهي Monothéisme ، حيث ستجمع تلك الآلهة حسب الرؤية الكونتية في إله واحد متعالي مفارق للمادة، وهي المرحلة النهائية في اكتمال الطور اللاهوتي.

---

[5] ينظر: شموع النهار إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي، عبد الله العجيري، الدار العربية للطباعة والنشر، ط1 (1437هـ-2012م)، ص(32) بتصرف

[6] تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ترجمة محمود سيد أحمد، التنوير للطبع والنشر، بيروت-لبنان، ط1 (2010م)، ص(396)

[7] يمكن أن يسمى كذلك بالمذهب الحيويAnimismeكما عبر عن ذلك وليام كلي رايت أو مذهب الأرواح فهو مشتق من الكلمة اللاتينية Anime والتي تعني الروح أو النفس وهو مذهب يجعل الأرواح مبثوثة في جميع الأشياء، (ينظر: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص(20))

ففي كنف المرحلة اللاهوتية نشأت وتطورت العقيدة الدينية عند أوجست كونت، والتي لا تعدو عن كونها اختراع بشري وعمل إنساني، كانت بداياته بإحلال الأرواح في أجسام مادية،صيرها الإنسان البدائي آلهة تعبد في ذاتها ويخضع لها، ومع تقدم الفكر البشري بدأت هذه الحالة تتقهقر ليعقبها طور تعدد الآلهة، الذي سيضمر ليحل محله طور التوحيد.

لكن سرعان ما ستضمحل المرحلة اللاهوتية-بأطوارها الثلاثة-بفعل السيرورة التاريخية والتطور الحتمي، لتحل محلها المرحلة الميتافيزيقية المجردة، وهي مرحلة انتقالية تميز فيها التفكير البشري بتوظيف الاستدلال بالقوى المجردة على الأشياء والظواهر الكونية عوض اسنادها إلى إرادات قوى عليا، " في هذه المرحلة، نجد أن الأرواح السابقة أو الآلهة لا تكون أشخاصا بل تصبح بصورة غامضة قوى كيميائية أو حيوية تسري في الأشياء من حولهم، وجعل الأشياء تتغير في المظهر، وتميل تلك القوى الكثيرة في وقت مناسب إلى أن تتوحد في قوة واحدة تسمى الطبيعة"8. فطور الفلسفة التجريدية ليس إلا مرحلة انتقالية ممهدة لما بعدها ولاغية لما قبلها.

ليأتي الطور النهائي من أطوار تقدم العقل البشري وهو: الطور الوضعي أو العلمي، حيث " يكتفي العلماء بملاحظة قوانين الظواهر، دون أن ينسبوا إليها أرواحا أو قوى مجردة غير مرئية ولا يمكن معرفتها"9، وهكذا سيستعيض التفكير الوضعي كما قال ليفي بريل: "بطريقة الملاحظة عن التخيل، وبالمعاني النسبية عن المعاني المطلقة"10، إنها المرحلة التي سيعلن فيها العقل البشري -حسب كونت- استغناءه بالعلم عن الدين.

وقد وظف أوجست كونت السيرورة التاريخية والتقدم الحتمي في الاستدلال على ضرورة مرور العقل البشري بمثل هذه المراحل المتعاقبة، ففي مرحلة طفولة العقل البشري توسلت الإنسانية -طموحا للمطلق-بالآلهة المخترعة حسب الرؤية الكونتية لتفسير الظواهر الكونية، وفي مرحلة الشباب سيتقدم الفكر البشري لتضمر هذه المرحلة التي سيطرت فيها إرادات الآلهة على وعيه، وتحل محلها المرحلة الميتافيزيقية التي فسر فيها الإنسان الأشياء على ضوء القوى المجردة الكامنة فيها، لكن سرعان ما سيتقهقر هذا الطور الانتقالي، وتعقبه مرحلة الرشد، ويستقر العقل البشري بفضل تطور تفكيره -من الإلهي إلى العلمي، ومن تفسير الظواهر تفسيرات لاهوتية ميتافيزيقية إلى اعتماد المنهج العلمي التجريبي- على الحالة الوضعية.

2. المنهج النفسي:

شهد القرن التاسع عشر في الغرب بالتزامن مع ولادة علم النفس العلمي، أول ازدهار للمقاربات ووجهات النظر المنهجية في دراسة الظواهر الدينية، ولقد تطرق عدد كبير من علماء النفس لدراسة الدين والظواهر الدينية، نشير من بينهم إلى: لوليام جيمس، فيكتور فرانكل وهكذا ظهر علم نفس الدين كفرع من فروع علم النفس، ليتطرق إلى دراسة الدين دراس علمية بمنظار

---

8 نفسه، ص(398)

9 تاريخ الفلسفة، وليام كلي رايت، ترجمة: محمد سيد أحمد، ص(398)

10 فلسفة أوجسيت كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمد قاسم والسيد أحمد بدوي، ص(61)

علم النفس، بعبارة أخرى علم نفس الدين يسعى إلى استخدام قواعد علم النفس الناجمة عن الدراسة العامة للسلوك، في دراسة السلوك الديني، ليتمكن من تفسيره وتوضيحه، أما القضايا والمسائل التي تتم دراستها فهي: ما هو مصدر التدين؟ هل للأشخاص المتدين شخصية خاصة. هل يبعث الدين على المزيد من الرضى عن الحياة لدى الأفراد، فهو يدرس الدين بشكل أساسي على أساس أنه ظاهرة نفسانية.

على الرغم من أن فرويد قد طرح آراءه حول الدين على أربعة مراحل وفي أربعة كتب، لكن حصيلة المسائل التي طرحها تعود إل تفسيرين: الأول: تفسير نفسي عرضه في كتابيه: الطوطم والمحرم، وموسى وعقيدة التوحيد، ويعتبر الدين مجرد عصاب وسواسي جماعي، أما التفسير الثاني فهو تفسير نفسي صرف طرحه في كتابيه: مستقبل أخدوعة والحضارة وكروبها أي أن مصدر الدين، شعور الإنسان بالتعاسة، وبعبارة أخرى هو خوف الإنسان الطفولي، والحاجة إلى حماية الأب القوي، وهذه الحالة لن تكون مستمرة ودائمة ففي المستقبل البعيد سيثبت العقل البشري تقدمه، وسيتم التخلي عن العقائد الدينية وستترك وتنسخ.

وعلى العموم:

فرويد يحدثنا عن نشأة الدين ويقول أنه كان رد فعل لجريمة شنعاء، ففي جيل من الأجيال الإنسانية الأولى، كان هناك أب مستبد يحكم القبيلة ويحتكر كل نساء العشيرة ، فكانت هناك ثورة من طرف الأبناء أدت إلى قتل الأب وأكله ، وبعدها أحسوا بالندم فأقاموا حفلات دينية يستغفرون لذنبهم وقوانين تحريمية التي كان أولها تحريم الزواج بالمحارم، وهكذا تطور الطوطم فأصبح الأب إلها ونسيت الناس جريمتها فلم تعد ترى صلة بين الطوطم والأب، وغدت الذبيحة قربانا تقدمه الأمم إلى العزة الإلهية، ومن جهة أخرى يطرح فرويد أوجه التشابه بين صفات الإله الذي يؤمن به الفرد وفكرة الطفل عن أبيه، ففي كلتا الحالتين تكون الذات العليا مفردة ورحيمة، وحكيمة، وفي كلتا الحالتين يخاف الفرد العقوبة والجزاء ويتطلع في الوقت ذاته إلى الرحمة والحماية، ومن هذا المنطلق زعم فرويد بأن الدين مجرد حالة نفسية سيكولوجية نابعة من آثار ومتبقيات فترة الطفولة عند الفرد البالغ.

• نقد المنهج الفرويدي في نشأة العقيدة الدينية:

أ. من نقائص النظرية تعميمها على كل الأديان، فالعلاقة بين الأب والرب لا توجد في جميع الأديان وخاصة الإسلام، قد نجد هذا الرب فقط في بعض الديانات الوثنية كالمسيحية والهندوسية..... فلو نظر فرويد إلى رسالة الإسلام فكيف سيفسر نظريته على صعيد العلاقة بين الأب والرب.

ب. يكفي للاستدلال بتهافت مسألة الربط بين خوف الابن من أبيه وخوف الإنسان من الإله بالاستشهاد بنماذج الأيتام، فاليتيم الفاقد لأبيه لم يعرف يوما معنى الخوف من أبيه، فأنى لنا الربط بين الخوفين؟.

ت. غاب عن فرويد مسألة أن الحالات العصبية والرغبات الغرائزية للإنسان لا تنتج تنظيما ولا تناسقا ولا فهما لهذا الكون، وما فيه من تصاميم عظيمة بتلك الدقة والشمول الموجودان في الدين الإلهي.

ث. لو كان الدين صراعا بين الرغبة الغريزية والتمرد كما يزعم فرويد، لما أنتج ذلك الصراع المزعوم نظاما أخلاقيا إلزاميا بتلك الصورة من الكمال التي نجدها في الإسلام والتي ألف فيها العلماء من مختلف التخصصات مصنفات كثيرة لا تحتاج سوى لمن يقرأها.

ج. كيف تستطيع التوفيق بين المعجزات التي جاءت بها الرسالات السماوية وما يفترضه فرويد من العقد النفسية المخبوءة في العقل اللاواعي؟ ، فكل الرسالات الإلهية مقرونة بمعجزات تدعم وجودها الرسالي، ولو كان الدين مجرد وهم أو مجموعة من الاستفهامات، فكيف سيفسر لنا فرويد مسألة المعجزات؟

ح. لو كانت عُقدتي "الذئب" و"عقدة أوديب" هما اللتان أوجدتا الدين، فلماذا استطاع الدين أن يستمر في تاريخ البشرية؟ ولما استطاع الإجابة على أخطر الأسئلة الوجودية التي لا يستطيع الإنسان البقاء دونها؟، كتساؤل الموت والحياة والبعث والنشور، ولماذا استطاع الدين أن يحل مشاكل البشرية خاصة فيما يتعلق بمسائل العلاقات الاجتماعية وطبيعة تنظيمها؟

3. **المنهج الأنثروبولوجي:** وهو منهج يدرس الإنسان ببيئته الدينية (أي علاقته بالمقدس وعلاقته بالطقوس التي يمارسها، وهذه الشعبة من الأنثروبولوجيا تسعى إلى بيان تفاعلات الإنسان مع محيطه الديني وتضبط أنماط الأساليب التي يتعامل بها مع سلطة المقدس وتبين درجات نسبة الملاءمة بين الإنسان ومحيطه الديني بسائر مكوناته من النصوص المقدسة والعقائد والطقوس والممارسات العلمية في المؤسسات الدينية

4. **المنهج الظاهراتي:** وفيه يتم وصف الدين كما هو ظاهر في الأعمال اليومية وطريقة العبادة والطقوس الدينية في الأفراح والأتراح. ومن الذين انتهجوا هذا المنهج عمانوئيل كانط في مو اقفه الفلسفية ورؤيته إلى الدين.

• أهمية دراسة تاريخ الأديان:

لعل أهم ما يمكن أن يلتفت إليه الناظر في تاريخ الأديان هو تجذر هذا العلم في شريعتنا الإسلامية، فمشروعية دراسة الأديان مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلك، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة : 285].

وفي السيرة النبوية المشرفة يمكن الوقوف على نماذج عديدة من بينا موقف الصحابة من عقيدة ومجالدتهم له، ففي مسند الإمام أحمد رو اية نذكر منها ما يلي: «أَرْسَلَ (النَّجَاشِي) إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ، فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ»، قَالُوا: «نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ، كَائِنُ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنُ، فَلَمَّا جَاءُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ لِيَسْأَلُهُمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ، فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ

إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِنُوَحْدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفَّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ» - فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَام - «فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ، وَ اتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا، فَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ، وَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ». فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: «هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ». فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: «فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كهيعص (سورة مريم). فَبَكَى واللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحَيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: «إِنَّ هَذَا، وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى، لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا، فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أَكَادُه ... (١) مسند الإمام أحمد

فمن خلال ما ورد من آيات في كتاب الله تعالى ونصوص في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلك يمكن أن نقول بأن البحث في الأديان يحقق الأهداف التالية:

1. الوقوف على حقيقة الأديان والتعرف على مدى صحتها، والانحر افات التي فيها.

2- الوقوف على الأمور المتشابهة والتي تلتقي عندها الأديان، وهذا يمكننا من معرفة أي منها الصحيح وأي منها المحرف.

3- يمكن الإنسان من تحديد موقفه من هذه الأديان.

4 - يعطي الإنسان الفكرة الكاملة عن كل دين بحيث تمكنه هذه الفكرة من معرفة جوهره، وجمع الحجج لمناظرة أهله.

لذا فالمسلمون تنبهوا لهذه القضية فجاءت دراستهم في مجال مقارنة الأديان لتتصف بما يلي:

1- دراسية كل دين ومعتقد من معتقدات البشر، دراسة و افية على الرغم من تعددها وتشعباتها.

2 مناقشة كل معتقد، مناقشة موضوعية، دون تجريح أو تقبيح لأتباع ذلك المعتقد. وزيادة على ذلك فقد اعترف الباحثون المنصفون من غير العرب، بأن المسلمين كانوا سباقين في هذا الاتجاه في مجالين هما:

1- إن المسلمين كانوا أول من طبع دراسة الأديان بطابع الاستقلالية، فخلصوه من

بقية المعارف والعلوم والفنون، وجاءت دراستهم مطبوعة بطابع الشمولية. 2- إعتمدوا في دراستهم للأديان على المصادر الموثوقة بعيداً عن الأساطير والخر افات.

فدراسة مقارنة الأديان تعني أن نقف على جميع أشكال التجارب الدينية على مر العصور بالطرق الموضوعية التي تيسر لنا الحكم على هذه التجارب الدينية للتوصل إلى معرفة الأديان المنتشرة في العالم، وأيها أفضل للإنسانية والفرد، ومعلوم أن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة، إلا بعد تقليب الموضوعات المتعلقة بها على جميع وجوهها، ولذا فلا بد من دراسة الأديان المنتشرة في العالم ومقارنتها بعضها ببعض، لنستطيع الحكم على واحد منها أو أكثر بأنه صادق، ولنستطيع أن نتخذه ديناً ومعتقداً.

ومع انتشار الثقافة في العالم وتقدم طرق الاتصال أصبح في متناول كل فرد أن يطلع على آراء ومذاهب و أفكار المجتمعات الأخرى، ينهل مما عندها من حسن ويبتعد عما عندها من رديء والذي ساعد على انتشار الثقافة هو الاختلاط والاتصال بين الشعوب بزيادة طرق المواصلات والحملات التبشيرية، إذ أدى ذلك إلى زيادة المعرفة بعلم مقارنة الأديان. فهو بالنسبة للمسلمين العلم الذي يكشف لهم مدى التناقض في العقائد الأخرى، لذا فمن واجب المسلمين أن يدرسوا هذا العلم للأسباب التالية:

1 - دعا الإسلام للتعرف على الأديان الأخرى، حتى يتيسر للمسلم أن يعرف الحق من الباطل ليسير على هدى، ويكون معتقده يقينا لا يتزعزع ولا تؤثر فيه شبهة أو يتطرق إليه احتمال

2- واجب الدعوة إلى الله ونشرها، ولا يتسنى لنا ذلك إلا إذا عرفنا الحجج التي تعتمد عليها تلك الديانات لدحضها و إثبات العقيدة الإسلامية بدلا منها، كما لا بد من معرفة الشبهات التي تثيرها تلك الديانات على الإسلام للرد عليها ودحضها.

4- ونظراً لما ظهر في المجتمع الإسلامي من فرق متعددة لها آراؤها في مجال العقيدة، نجد أن بعضاً منها استمد من الديانات القديمة، أو ممن دخلوا في الإسلام من أهل تلك الديانات، حتى نقف لهم بالمرصاد ونحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا.

المحاضرة الرابعة

الكتاب المقدس

أسفار العهد القديم

لكل ديانة نصوص مقدسة يستعين بها المنتسبون لفهم عقيدتهم الدينية والعمل بما فيها من نصوص في مجال العبادات والطقوس، واليهود كباقي الديانات لهم كتابهم المقدس الذي يمثل الدستور الناظم لحياتهم الدينية، ويسمى هذا الكتاب بالتوراة أو العهد القديم، ويشترك النصارى معهم في الإيمان بهذا الكتاب.

لذلك وقبل أن نخوض في عناصر العهد القديم ومعرفة حقيقة من كتب أسفار هذا العهد كان لزامنا علينا أن نعرف بالكتاب المقدس وببعض مصطلحاته:

1. تعريف الكتاب المقدس (Holy Bible):

فالكِتابُ المُقَدَّسُ : هُوَ كِتَابٌ يَتَكَوَّنُ مِنْ مَجْمُوعَةِ أَسْفَارٍ - أَيْ: كُتُب - كُلُّ سِفْرٍ يَتَكَوَّنُ مِنْ عِدَّةِ إِصْحَاحَاتٍ - أَيْ: فُصُولٍ ، ضُمَّتِ الكُتُبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَأَصْبَحَتْ كِتَابًا وَاحِدًا، أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ الكِتَابِ المُقَدَّسِ»، يَعْتَقِدُ النَّصَارَىٰ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللهِ المَحْفُوظَةُ، وَ أَنَّهُ لَنْ يَزُولَ مِنْهُ حَرْفٌ حَتَّى تَزُولَ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ! فَإِذَا أَرَدتَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ عَدَدٍ - أَيْ : فِقْرَةٍ - مِنْ أَعْدَادِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ اسْمَ الكِتَاب - أي: السِّفْر - الَّذِي يَحْوِي هَذِهِ الفِقْرَةَ، وَرَقْمَ الإِصْحَاح - أي: الفَصْلِ - وَرَقْمَ العَدَدِ - أَيِ: الفِقْرَةِ، وَيُطْلِقُ عَلَيْهَا النَّصَارَىٰ تَأَثُّرًا بِالثَّقَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ آيَةٌ»!! – مثلا إذا رأيت سفر التكوين (2/1)، فالمقصود به الإصحاح الأول، العدد 2.

ويضم الكتاب المقدس جزئين اثنين أو قسمين اثنين، القسم الأول يدعى العهد القديم، والقسم الثاني يسمى العهد الجديد.

2. العهد القديم (Old Testament)

ويؤمن اليهود بشكل عام بأسفار العهد القديم، ويزعمون أن هذه الأسفار قد وصلت إليهم بواسطة أنبيائهم الذين بعثوا إليهم قبل عيسى عليه السلام، فهي عندهم وحي وتنزيل يستمدون منها عقيدتهم وتشريعاتهم ونظمهم وأخلاقهم، ويستندون إليها في معرفة تاريخهم و أيامهم، يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس " لم يجرؤ أحد أن يضيف أو ينقص أو يغير شيئا من هذه الأسفار المقدسة، وكان جميع اليهود ينظرون إليها كأقوال الله، يعيشون بموجبها ويموتون لأجلها".

3. أقسام العهد القديم عند اليهود:

اعتمد اليهود في أسفارهم على ستة وثلاثين سفراً أطلق عليها في العصور المسيحية اسم العهد القديم Old Testamentللتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم «العهد الجديد NEW Testament واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفاراً مقدسة أي موحى بها، و يراد بكلمة «العهد» في هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق، أي إن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معهalliance : فأولاها تمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى (Old testament) ؛ والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى (New Testament).

ويطلق على العهد القديم التوراة إطلاقا للجزء على الكل لأهمية ذلك الجزء، حيث تعتبر التوراة كلمة عبر انية معناها الشريعة أو الناموس، ويسمونها كذلك بـ Pantateuque وهي كلمة يونانية مركبة، فـPanta تعني خمسة و Teukhos تعني الكتاب - السفر - والكلمة كلها تعني الأسفار الخمسة.

ويطلق أيضا على العهد القديم كلمة" תנך "تناخ" وكل حرف من أحرف هذه الكلمة يرمز إلى جزء من الأجزاء المكونة للعهد القديم، حيث عدد هذه الأسفار عند اليهود تسعة وثلاثون سفرا وهي نفسها الأسفار التي يؤمن بها البروتستانت[11] ويقسم العهد القديم عند اليهود إلى ثلاثة أقسام موزعة كما يلي:

–حرف التاء "ת" يرمز إلى التوراة תורה.

–حرف النون "נ" يرمز إلى الأنبياء נביאים.

–حرف الكاف أو الخاء ך يرمز إلى المكتوبات כותבים وبذلك ينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام هي:

المجموعة الأولى: التوراة أو الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وهي كما يلي:

1– **سفر التكوين**، ويسمى سفر الخليقة أيضاً : ويقص- كما هو واضح من اسمه قصة خلاق العالم وبناء السماء والأرض، ونشأة الإنسان الأول: آدم وحواء، ثم قصة نوح والطوفان و أبناء سام بن نوح، وقصة إبراهيم و ابنيه عليهم السلام، وقصة يعقوب و أبناءه الاثني عشر أسباط بني إسر ائيل) ورحيلهم إلى مصر حيث دعاهم يوسف.

2– **سفر الخروج** ويعرض هذا السفر تاريخ بني إسر ائيل في مصر، وقصة موسى عليه السلام، ودعوته فرعون إلى توحيد الله، وخروجه مع بني إسر ائيل من مصر قاصدين أرض فلسطين، وعصيانهم إياه وتمردهم عليه وعلى أخيه هارون، وفيه قصة عبورهم البحر و انقلابه وإغراق فرعون مصر فيه، ثم قصة التيه الذي استمر أربعين سنة.

[11] على خلاف الكاثوليك الذين يزيدون على الأسفار التي يؤمن بها اليهود والبروتستانت سبعة الأسفار وهي: سفر طوبيا، سفر باروخ، سفر يهوديت، سفر المكابين الأول والثاني، سفر الحكمة، سفر سيراخ، موزعة على الأقسام الثلاثة التي قسم النصارى بها العهد القديم (الكتب التاريخية، كتب الشعر والحكمة، كتب النبوة).

3- **سفر العدد** ويشتمل هذا السفر تفصيلاً لأعداد قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم، وكذلك على طائفة من الأحكام تتعلق بالعبادات والمعاملات.

4- **سفر التثنية** وتحتوي معظم أحكامه على أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب السياسية وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات، ويسمى (التثنية) لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل.

5- **سفر اللاويين**: وقد شغل معظم هذا السفر بشؤون العبادات وخاصة ما تعلق بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور، واللاويون هم نسل لاوي أو (ليفي) أحد أبناء يعقوب، وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شؤون المذبح والأضحية والقرابين والقوامين على الشريعة اليهودية، ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.

المجموعة الثانية: أسفار الأنبياء، وهي كالآتي:

(1) **أسفار الأنبياء الأول (المتقدمين):** وتتضمن تاريخ بني إسرائيل وما جرى لهم من الحوادث منذ دخولهم فلسطين بقيادة يشوع (يوشع) فتى موسى عليهما الصلاة والسلام إلى خروجهم منها في السبي البابلي، ومنها حوادث عهد القضاة وعهد الملوك وعهد انقسام مملكة بني إسرائيل وبناء هيكل سليمان عليه السلام وتدميره في الغزو البابلي ويتخلل ذلك بعض الوصايا والأحكام والتشريعات.

(2) **أسفار الأنبياء الأخر (المتأخرين):** وتتضمن تاريخ بني إسرائيل وتراثهم أثناء فترة السبي البابلي ثم عودة بعضهم إلى فلسطين تحت ظل الحكم الفارسي ثم إعادة بناء هيكل سليمان مرة ثانية وبها بعض الوصايا والنبوؤات والأحكام.

المجموعة الثالثة: المكتوبات

أو كتب الحكمة، وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي شعراً أو نثراً وبعضها يتضمن تراثاً من القصص والحكم والمواعظ والأدعية، وفيها تمجيد بطولاتهم في الاستقرار بفلسطين.

ومن أسفار الكتب سفرا أخبار الأيام الأول والثاني وفيهما تلخيص للوقائع التاريخية الواردة في الأسفار السابقة منذ بدء الخليقة إلى عودة اليهود من السبي البابلي في أيام قورش ملك الفرس أي بدءاً من أسفار التوراة إلى آخر أسفار الأنبياء الأخر.

ثانيا الأسفار الخفية (أبوكريفا العهد القديم)

بجانب هذه الأسفار التي يتألف منها العهد القديم توجد أسفار يهودية أخرى لم يدخلها اليهود في أسفار هذا العهد. ويطلقون عليها اسم الأسفار الخفية.

(Apocryphe, du grec apokruphos, de apokruptien cacher).

وبعض هذه الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد في نظر اليهود، بينما بعضها الآخر مقدس أي معترف بأنه موحى به ومعتمد في نظرهم، ولكن رأى أحبارهم وجوب إخفائه في الهيكل، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج في أسفار العهد القديم. وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول في صدد اليهود: « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما

بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (٣)، و إذ يقول: « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار. ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم(1) .

ثالثا: اللغات التي ألفت بها التوراة وترجمت إليها

دونت جميع أسفار العهد القديم بلغة واحدة وهي اللغة العبرية. وإن كانت التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار وتنم على العصور التي ألف فيها كل سفر منها. ولا يستثنى من ذلك إلا بعض أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية وهي بعض أجزاء من سفري عزرا Eadras ودانيال وفقرة واحدة من سفر أرمياء Jeremie وكلمتان اثنتان في سفر التكوين وردنا باللغة الآرامية عن قصد. ويرجح الباحثون أن ما ألف بالآرامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى حوالى سنة 300 قبل الميلاد وأن ما ألف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة167 أو166 قبل الميلاد .

1. الترجمة اليونانية (الترجمة السبعينية)

وهي أقدم ترجمة للعهد القديم، وقد اشتهرت باسم "الترجمة السبعينية، وهي إشارة إلى الأسطورة القائلة بأن اثنين وسبعين من علماء اليهود قاموا بترجمة العهد القديم العبري إلى اليونانية بأمر من بطليموس فيلادلفيوس (228-248 ق.م)، وهي أقدم ترجمات العهد القديم. وتذكر الأسطورة أن كل عالم من هؤلاء العلماء جلس في حجرته بمفرده ليترجم العهد القديم وعند الانتهاء وجدوا أن الترجمات كلها متماثلة. وبغض النظر عن مدى صدق هذه الأسطورة، فقد كان الغرض من الترجمة إلى اليونانية سد حاجة المصريين اليهود المتأغرقين الذين كانوا يجهلون العبرية تماما بسبب اندماجهم في المحيط الهيليني و اتخاذهم اللغة اليونانية السائدة آنذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط لغة لهم. وقد تمت الترجمة بالتدريج ابتداء من القرن الثالث ق.م، وتم الانتهاء منها في السنوات الأخيرة قبل رسالة المسيح، ولم تكن الترجمة على المستوى الرفيع، إذ لم يكن المترجمون ملمين بالعبرية بالقدر الكافي. ولم تكن النصوص التي ترجموا عنها نصوصا جيدة. وتجدر بنا الإشارة إلى وجود صياغات في الترجمة السبعينية لم نجدها في النص العبري الحالي ومع هذا عثر على نظيرها العبري في مخطوطات قمران، وهو ما يؤكد اعتماد المترجمين على نصوص غيرية متعددة.

وقد تجاهل العلماء الهيلينيون العهد القديم، فلم تصلنا أي تعليقات لهم عليه، ولكن الفقهاء اليهود في فلسطين قبلوا الترجمة واعتمدوها في بادئ الأمر فأجلها اليهود المتحدثون باليونانية، وقد استفاد المسيحيون الأولون من الاختلافات بين الترجمة والنص العبري، وبعد أن اعترفت الكنيسة المسيحية بالترجمة السبعينية باعتبارها الإنجيل الرسمي ؛ أظهر الحاخامات العداء لها . خصوصا في بداية عام 70 م .

وتشتمل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفراً لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا ، وهذه الأسفار هي: سفر طوبيا ، وسفر الحكمة لسليمان ، وأسفار المكابيين وعددهم أربعة أسفار وسفر يهوديت، وسفر الكهنوت أو سفر الحكمة ونشيد الأطفال الثلاثة، وسفر سوزان، وسفر بل والتنين وثلاثة أسفار منسوبة لعزرا زيادة على السفر المثبت في الأصل العبري، وبعض زيادات في سفر دانيال .

2. الترجمة اللاتينية

وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية La Vulgate Latine وتعرف باسم "الفولجاتا" أو "الشعبية وهي من الكلمة اللاتينية "فولجاتوس Vulgatus" وتعني "شائع" وتستخدم الكلمة للإشارة إلى ترجمة العهد القديم اللاتينية التي أخذت عن الترجمة السبعينية. ومع هذا فإنها لم تأت مطابقة لها كل المطابقة . وقد اشتملت الفولجاتا على سفرين اثنين فقط للمكابيين مقابل أربعة في السبعينية، وحذفت منها أسفار عزرا الثلاثة وزيد عليها سفر باروخ. وفيما عدا ذلك، لا يوجد فرق يذكر بين الترجمتين.

وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية جميع الأسفار والأجزاء الز ائدة في الترجمة اللاتينية على الأصل العبري، واعتبرتها جميعا أسفارا أو أجزاء مقدسة من أسفار العهد القديم وأجز ائه. ولكن معظم البروتستانت لا يعتبرون هذه الزيادات مقدسة، وهي في نظرهم لا تنتمي إلى العهد القديم. أما اليهود، فإنهم يدخلونها في القسم الذي يسمونه الأسفار الخارجية أو الخفية (أبوكريفا).

3. الترجمة الآرامية

وأهمها الترجوم، والترجوم: كلمة أرامية من الأصل الفارسي تورجمان" وتعني "ترجمة" . ويطلق هذا المصطلح على الترجمات الآرامية للكتاب المقدس. وقد وضعت هذه الترجمات في الفترة الو اقعة بين أو ائل القرن الثاني وأواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

كما أصبحت هذه الترجمة أمرا مهما وحيويا بالنسبة إلى اليهود ؛ نظرا لأن الآرامية حلت محل العبرية بعد التهجير البابلي. فمنذ أيام عزرا كانت تضاف بعد قراءة أجزاء من العهد القديم، فصار هذا ثابتا.

كما أن أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس ترجموه من العبرية إلى اللهجة الآرامية الحديثة وهي إحدى لهجات اللغة الآرامية وكانت مستخدمة في منطقة فلسطين وما إليها . وقد ساروا في ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة. فكانوا يدونون الفقرة بنصها العبري ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية.

ومن أشهر الترجمات الأرامية للكتاب المقدس ترجوم أنقلوس Onclos وهو ترجمة لأسفار التوراة وحدها (الأسفار الخمسة أو أسفار موسى التي يتألف منها القسم الأول من العهد القديم وتتضمن التوراة في نظرهم)، وكذا ترجوم يوناتان الذي هو ترجمة لبقية أسفار العهد القديم وقد ألفت ترجماتهم هذه في الفترة الو اقعة ما بين أو ائل القرن الثاني وأواخر القرن الخامس بعد الميلاد، وتم معظمها في القرنين الر ابع والخامس الميلاديين.

ويعتقد أن أرامية الترجوم كانت متكلفة إلى حد ما. كما قد سعت التراجم الأرامية إلى إضفاء مسحة من ثقافة عصرها على النص فقام المترجمون بإدخال مصطلحات مثل الجن والملائكة بديلا عن الإشارة إلى الرب مجسدا.

المحاضرة الخامسة

نقد العهد القديم (تحريف التوراة)

(أسفار موسى نموذجا)

أولا. تصريح القرآن الكريم بتحريف التوراة

قدم القرآن الكريم أول صورة نقدية إسلامية للتوراة، وأعطى أصولا علمية منهجية لنقده، تمكن علماء تاريخ الأديان المسلمين عن طريقها من الوصول إلى نتائج باهرة في هذا المجال، تضاهي نتائج حركة نقد التوراة في عصرنا الحالي.

ومن يستقرئ القرآن الكريم يقع على آيات عديدة يهاجم فيها أهل الكتاب فيقول : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) (المائدة 15). وهذا النقد يأتي تارة لاتهام أهل الكتاب بإخفاء الحق في كثير من نصوص التوراة وكتمانها عن قصد، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقّ وَ أَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة (42).وقال سبحانه وتعالى: (يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقّ وَ أَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (آل عمران (71) .

وتارة يتهمهم بتحريف ألفاظ الكتاب وكلماته، لإيهام الناس بأن ما يقولونه موجود حقيقة في الكتاب (التوراة)، قال عز وجل : (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران (78) .

ونجد القرآن أحيانا يتهم أهل الكتاب بالزيادة في نصوص التوراة، قال تعالى : "فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة (79) .

إن هذه الأسباب التي ذكرنا، من إخفاء للنصوص وكتمان وزيادة وتحريف لها عن مواضعها هي التي تدفع المسلمين إلى رفض العهد القديم، وهي التي دفعت علماءنا للبحث في نصوص اليهود عما يثبت التحريف والتزوير، ولعل ابن حزم رحمه الله كان من العلماء الأفذاذ الذين جندوا أقلامهم لنقد التوراة، من خلال منهج النقد التاريخي الرصين.

ثانيا:ابن حزم ونقد التوراة

يشهد مُؤلف ابن حزم (أبو محمد) " الفصل في الملل والنحل" على منهجه المتفرد في نقد الأديان عموما ونصوص التوراة على وجه الخصوص، مستثمرا فيها منهج النقد التاريخي، مؤصلا أصولا منهجية في مقارنة الأديان، والتي اعتمدها الوسط الأوروبي من بعده.

و ابن حزم كان مستلهما ما كان مؤسسا عند علماء الجرح والتعديل من قبل في نقد السند والمتن، فهو في حقيقة الأمر لم يقصر ذلك المنهج على الدراسة الحديثية فقط، بل وسع النطاق حتى شمل روايات السيرة، والروايات التاريخية اليهودية والنصرانية، وغيرها من النحل الأخرى، فبان له- بعد تلك الدراسة- زيف بعضها وظهر له تهافتها.

وقد اضطرت ضخامة التراث الديني اليهودي ابن حزم إلى الانتقاء والاختيار، فركز على العهد القديم، خاصة الأسفار التوارتية الخمسة، وبصفة أخص أسفار التكوين والخروج والعدد. فاستفرغ ابن حزم جهده في نقد التوراة بتوسع وإسهاب ومال إلى الاختصار والتقليل من الأمثلة بالنسبة لبقية الأسفار، حيث قسم ابن حزم نقده للتوراة فصولاً، عددها سبعة وخمسون فصلاً، من جملتها فصول يجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات فأقل. وحدد كعادته منهجه بدقة قبل الشروع في النقد، إذ صاغه في دستور ذي ثلاثة بنود.

دستور البنود الثلاث:

1- وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نُخرج من الكتب المذكورة شيئاً يمكن أن يُخرج على وجه ما - وإن دقّ وبعد . فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له».

2 وكذلك أيضاً لم نخرج منه كلاماً لا يفهم معناه - وإن كان ذلك موجوداً فيه - لأن للقائل أن يقول قد أصاب الله به ما أراد».

3 - و إنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلاً إلا الدعاوى الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً لا محتملاً ولا خفياً» (4).

يلاحظ أن ابن حزم قد وعد بنقد النصوص الواضحة في البند الثلاث، واجتناب النصوص المبهمة في البند الثاني، أو التي يمكن تأويلها في البند الأول، فهل أنجز ما وعد؟ هذا ما سنراه من خلال عرض محاور النقد.

1 - الألوهية :

حاكم ابن حزم ظاهر النصوص اليهودية إلى المرجعية الإسلامية، مبيناً الفرق بين الإسلام واليهودية في تصوّر الإله على الرغم من إدعاء اليهود تمسكهم بالتوحيد. وفيما يلي تلخيص لخصائص الألوهية في اليهودية من خلال نصوصها كما قرأها ابن حزم ونقدها مع العلم أن النقد قد ورد وجمع هنا بشكل منهجي موضوعي قصد تسهيل الدراسة.

أ – الشرك وتعدد الآلهة :

من النصوص التي يفيد ظاهرها الإشراك بالله - عزوجل - نص من التوراة، نسب إلى الله الخشية من أن يصير آدم إلهاً من الآلهة إذا ما أكل من شجرة الحياة، ففي العهد القديم: " **وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَ ذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ» (التكوين 22/3)**". كما وجد ابن

حزم بغيته في الأسفار الشعرية، ففيها أن إلهاً يمسح إلهاً آخر بالزيت، ففي مزامير داود: **"أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" مزامير داود (7/45).**

ب – التجسد: والمقصود به حلول الإله في بعض مخلوقاته. من ذلك كما بين ابن حزم:

تجسد الله في شكل رجل صارع يعقوب وانهزم أمامه كما ورد في سفر التكوين: **(فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. 25وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. 26وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». 27فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». 28فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». 29وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ) التكوين (32/24-29)**

ومن أمثلة التجسد في عهد القديم، رؤية بني إسر ائيل الله في زمان موسى حيث كانت تحت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي وكسماء صافية، ولكنه لم يمد يده إلى خيار بني إسر ائيل الذين نظروا إليه، ففي سفر الخروج: **"ورأوا اله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف و كذات السماء في النقاوة و لكنه لم يمد يده إلى اشراف بني إسرائيل فراوا الله و اكلوا و شربوا" (الخروج 24/10-11)**

-وصف الله بأنه شيخ أبيض الرأس واللحية كما ورد في سفر دانيال: **"كنت ارى انه وضعت عروش و جلس القديم الأيام لباسه ابيض كالثلج و شعر رأسه كالصوف النقي و عرشه لهيب نار و بكراته نار متقدة " سفر دانيال (9/7)**

ج ـ التشبيه :

إن التجسد مرتبط بالتشبيه، فالأجسام تتشابه وتتباين فيما بينها. والعهد القديم مليء بالتشبيهات الله تعالى بمخلوقاته :

فمنها ما يشبه بالإنسان عموما: **"«نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (التكوين 26/1). "** ،وقد يتم تشبيه الله –تعالى عن ذلك علوا كبيرا– بالرجل القادر **(الرب رجل الحرب الرب اسمه) الخروج 3/15.**

فمن خلال ما سبق يرى ابن حزم أن جلّ هذه الأوصاف لا يمثل الإنسان في أحسن أطواره، ويذهب من خلال نقده لنصوص العهد القديم والجديد أن بذور العقائد النصر انية في التجسّد والتثليث موجودة في اليهودية ففي العهد القديم نصوص تذكر أن الله تجسّد في ثلاثة نفر لإبراهيم **"وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، 2فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ " تكوين (18/1-2).**

2 – النبوة :

حاكم ابن حزم النصوص اليهودية وفق مفهومه الإسلامي للنبوة، فأدان بشدة ما نسبه اليهود إلى الأنبياء من انحر افات في العقيدة والسلوك. ويمكن تصنيف هذه الانحر افات كما يلي :

أ ـ انحراف العقيدة :يتمثل ذلك في :

- تشكك إبراهيم في صدق وعد الله له بتمليكه ونسله الأرض المقدسة. "7وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا». 8فَقَالَ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟» "(تكوين 7-8/15)

صناعة هارون للعجل الذهبي وعبادته له وتزيينه ذلك لقومه ففي التوراة:

"وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». 2فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». 3فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. 4فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». 5فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». (الخروج 32/1-6)

تشكيك موسى عليه السلام في قدرة الله تعالى على إطعام بني إسر ائيل اللحم، ففي سفر العدد

"فَقَالَ مُوسَى: «سِتُّ مِئَةِ أَلْفِ مَاشٍ هُوَ الشَّعْبُ الَّذِي أَنَا فِي وَسَطِهِ، وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: أُعْطِيهِمْ لَحْمًا لِيَأْكُلُوا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ. 22أَيُذْبَحُ لَهُمْ غَنَمٌ وَبَقَرٌ لِيَكْفِيَهُمْ؟ أَمْ يُجْمَعُ لَهُمْ كُلُّ سَمَكِ الْبَحْرِ لِيَكْفِيَهُمْ؟» 23فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَلْ تَقْصُرُ يَدُ الرَّبِّ؟ الآنَ تَرَى أَيُوافِيكَ كَلاَمِي أَمْ لاَ». (العدد 11/21-26)

ب ـ الكذب:

ككذب إبراهيم عند قوله إن سارة أخته أمام فرعون و أبي مالك.

10وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا. 11وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. 12فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. 13قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ

أَجْلِكِ».14فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا. 15وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، 16فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ. 17فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. 18فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ 19لِمَاذَا قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالآنَ هُوَذَا امْرَأَتُكَ! خُذْهَا وَاذْهَبْ!». 20فَأَوْصَى عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ رِجَالاً فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ. (التكوين 12/10-20).

د ـ الدياثة وعدم العصمة في العرض:

حسب التوراة مس يعقوب في عرضه في مناسبتين: مرة عندما انتهك عرض دينة ابنته على يد شكيم بن حمور **"1وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ، 2فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا." 'التكوين (34/1-2)**، ومرة أخرى عندما ضاجع ابنه رؤوبين بلهة سرية أبيه وأم أخويه، ففي سفر التكوين: **"21ثُمَّ رَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلَ عِدْرٍ. 22وَحَدَثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الأَرْضِ، أَنَّ رَأُوبَيْنَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ." (التكوين 35/21-22)**، واكتفى يعقوب – عند اقتراب وفاته – بمجرد توجيه اللوم لرؤوبين على فعلته الشنيعة تلك: **"فَائِرًا كَالْمَاءِ لاَ تَتَفَضَّلُ، لأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ. حِينَئِذٍ دَنَّسْتَهُ. عَلَى فِرَاشِي صَعِدَ" (التكوين 49/4).**

ومن الدياثة أيضاً زواج يوشع (يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام من رحب راحاب) الز انية الأريحوية وفي ذلك:
"و استحيا يشوع راحاب الزانية و بيت ابيها و كل ما لها و سكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم لانها خبات المرسلين اللذين ارسلهما يشوع لكي يتجسسا اريحا " (يشوع 6/25).

هـ ـ الزنا :

كزنا لوط عليه السلام بابنتيه، بعدما سقتاه الخمر إلى حد الثمالة، وإليه نسب بنوهما ففي التوراة:

30وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. 31وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. 32هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». 33فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. 34وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». 35فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، 36فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. 37فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ

ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. 38وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ. (التكوين (19/30-38)

هذا إضافة إلى زنا داود بزوجة رجل من جنده، فأنجب منها طفلاً مات صغيراً ثم تزوجها وأنجب منها سليمان (45). ينظر: (صاموئيل الثاني (1112/1–25)).

النقد الداخلي يثبت أن موسى لم يكتب هذه التوراة

توصل ابن حزم من خلال تحليله لنصوص التوراة إلى النتيجة التي توصل إليها علماء التلمود وعلماء اليهود في العصر الوسيط. حيث اعتمد ابن حزم على فراسته وقراءته للنصوص. فكان الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التثنية هو الأساس الذي بني عليه ابن حزم إثبات أن التوراة لا تُعزى إلى موسى. حيث يعلق ابن حزم على موت موسى وعدم معرفة قبره إلى اليوم، و أنه لم يخلفه نبي مثله في بني إسرائيل، بقوله: "هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة وأنها تاريخ مؤلف... وأنها غير منزلة ... إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلا على موسى في حياته .." . وينهي ابن حزم تحليله لهذا الإصحاح بالتعليق على عبارة «لم يعرف قبره آدمي إلى اليوم»، بقوله: «بيان لما ذكرنا كاف، و أنه تاريخ أُلف بعد دهر طويل ...»، ولعل عبارة "لم يعرف قبره آدم إلى اليوم" كانت معتمد علماء التلمود لبيان الغرض نفسه وهي أن موسى عليه السلام لم يكتب التوراة.

والحقيقة أن القارئ للتوراة اليوم يتأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا الكتاب ليس من كتابة موسى، وهذه بعض النصوص لنراها كيف تتكلم عن شخص اسمه موسى وكأن الكاتب كان يعيش في زمن بعد موسى فعلى سبيل المثال:

(وقال الرب لموسى في مديان اذهب ارجع إلى مصر...) سفر الخروج 4/19.

(فقال لهما ملك مصر: رلماذا يا موسى وهارون تبطلان الشعب من أعماله ؟..) (سفر الخروج 5/4).

(ثم قال الله لموسى: أنا الرب.)، (سفر الخروج 6/2).

فقال موسى للرب فيسمع المصريون)، (العدد 14/13).

فكلما قرأنا نجد " قال الرب لموسى " و" قال موسى للرب "، فلو قرأ إنسان عاقل هذه النصوص لا يجد في قلبه إلا أن يؤمن بأن هذه النصوص كتبت بعد موسى وتحكي ما كان يفعله موسى وبذلك يكون كتب عن موسى وليس كتب من موسى.

النقد الخارجي للتوراة

1. تاريخ التوراة من موسى إلى عزرا:

يرجع أصل التوراة التي بين أيدي اليهود - حسب نصوصهم نفسها .إلى عزرا الوراق (الكاتب) الهاروني الذي دونها في حافظته بعد العودة من السبي البابلي. وداخل المجال التاريخي بين موسى وعزرا يتحدد النقد الخارجي متسائلاً: هل توراة عزرا هي نفسها توراة موسى؟

استحضر ابن حزم في ذهنه النموذج القرآني للوحي، الذي اتصل فيه التنزيل بالنقل المتواتر والحفظ بالتدوين والانتشار الواسع. وعلى العكس من ذلك كان حال التوراة، إذ تخللت القرون الطويلة الفاصلة بين موسى وعزرا اضطرابات كبيرة وعديدة و انحرافات خطيرة مست جوهر العقيدة وصلب الديانة، مما جعل أدنى شروط حفظ النص غير متوفرة. (عاش عزرا في القرن الخامس ق.م، أي بعد موسى بزهاء ثمانية قرون، باعتبار أن موسى عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد على أرجح الأقوال، ويعظم اليهود عزرا ويعتبرونه مؤسس نظم اليهودية المتأخرة، وينسبون إليه جمع الأسفار المقدسة وتنظيمها)

ويمكن تلخيص المراحل التي مرت بها التوراة في تاريخها، والملاحظات النقدية التي أبداها ابن حزم بخصوص كل مرحلة، كما يلي:

أ - كانت طاعة بني إسرائيل لموسى مدخولة وضعيفة، على الرغم من كونه صاحب فضل كبير عليهم، فهو مخلّصهم من نير المذلة والعبودية

ب - بعد وفاة موسى حكم بني إسرائيل مدبروهم»، وهم القضاة שופטים .ودون تاريخهم في سفر خاص يحمل اسمهم. ويبدو أن ابن حزم قد اعتبر يوشع (يشوع بن نون خليفة موسى أول القضاة لا عثنيال (عثنيئيل) كما توحي بذلك النصوص. وتميزت مرحلة القضاة بتذبذب إيمان بني إسرائيل وإضرابه، حيث ارتدوا خلالها سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام.

ج - انتهت مرحلة القضاة بتنصيب شاول ملكاً .وهو طالوت في القرآن الكريم - ثم تلاه في الملك داود فابنه سليمان وبلغت المملكة الموحدة أوج مجدها في عهد سليمان الذي أتم بناء الهيكل ببيت المقدس (أورشليم).

د. بعد وفاة سليمان انقسمت مملكته ، مملكتين إحداهما : مملكة الأسباط العشرة (إسرائيل) في الشمال، وعاصمتها مدينة نابلس (شكيم). دام ملكها 271 سنة إلى حين القضاء عليها على يد سليمان الأعسر (شلمنآسر) ملك الموصل (أشور)، الذي أسر سكانها، وأحل محلهم قوماً من بلده عرفوا باسم السامرية. وعُرف الملوك العشرون للأسباط العشرة بالكفر الشديد واضطهاد الأنبياء.

علق ابن حزم على هذا الأمر بقول: " لم يكن فيهم نبي قط إلا مقتولا أو هاربا مخافا" الفصل، (294/1)

هـ- وثانيهما : مملكة يهوذا في الجنوب، وعاصمتها بيت المقدس (أورشليم). ضمت سبطي يهوذا وبنيامين، وحكمها عشرون ملكاً من نسل سليمان لمدة أربعة قرون إلا أعواماً حتى القضاء عليها على يد نبوخذ نصر) ملك بابل، الذي هدم الهيكل وسبى

السبطين. ولم يعرف الإيمان من ملوك يهوذا سوى خمسة منهم فقط على أقصى تقدير. كما نال الأنبياء. في عصور الكفر المتعاقبة .كثير من الأذى والاضطهاد.

و- كانت التوراة - منذ وفاة موسى إلى نهاية مملكة يهوذا . عند الكوهن الأكبر وحده، متنقلة في البدء مع السرادق (خيمة الاجتماع)، ثم استقر بها المقام داخل الهيكل وشكك ابن حزم في أمانة هؤلاء الكهنة الذين تعاقبوا على حفظ التوراة ففيهم من الكفر والفسوق ما في غيرهم من بني إسرائيل، ومن هذه صفته فلا يُؤمن عليه تغيير ما ينفرد به.

ز- تعرضت التوراة لصنوف من الإهمال والتلف فقد نشر منها بالمنشار يهوياحوز (يهو آحاز) بن يوشيا أسماء الله حيث وجدها. كما أحرقها بعده أخوه يهوياقيم. وخلال تاريخ مملكة يهوذا، تعرضت عاصمتها بيت المقدس للإغارة أربع مرات كان أخرها على يد بختنصر البابلي، الذي هدم الهيكل المكان الوحيد الذي توجد به التوراة.

وباختصار شديد يمكن القول : نظراً لغلبة الكفر على بني إسرائيل - حكاما و محكومين - لحقب طويلة و انحصار تداول التوراة داخل نطاق ضيق من الكهنة المشكوك في أخلاقهم داخل الهيكل الذي عانى من الغارات المتكررة والتخريب، ونظراً لتعرض التوراة ذاتها مراراً للتلف والإهمال، ولاضطهاد الأنبياء الذين من شأنهم الحفاظ على تواصل كلام الله، وأخذاً بعين الاعتبار ضيق المجال الجغرافي الذي جرت فيه هذه الأحداث، وكون بني إسرائيل الأتباع الوحيدين لكتابهم فان النتيجة الحتمية لكل هذه العوامل المتضافرة هي تحريف التوراة وتبديلها.

2. تدوين التوراة وانتشارها :

بعد نحو أربعين عاماً من العودة من السبي البابلي، الذي دام سبعين عاماً، أملى عزرا الوراق (الكاتب) الهاروني التوراة من حفظه، وأصلح ما بها من خلل كثير وجده عند يهود عصره بعد عزرا، لم تنتشر التوراة انتشاراً واسعاً ولم تنته المصاعب من أمام طريقها، حيث قام أنطاكيوس أنطيوخس الرابع أبيفانيس) بإجبار بني إسرائيل على أداء العبادات الوثنية في بيت المقدس ولم تعرف التوراة انتشاراً واسعاً إلا بعد أزيد من أربعة قرون من خراب الهيكل، في عهد قوم من بني هارون (المكابيين).

وأرجع ابن حزم ذلك إلى تحوّل خطير من شكل العبادة اليهودية، إلا أنه ترك أثراً عظيماً على الديانة في مجملها.

وهكذا ارتأى ابن حزم أن موسى عليه السلام يكتب التوراة، حيث توالت جهود علماء الإسلام في هذا المجال في دراسات نقدية عميقة للكتاب المقدس إلى أن عكف الإمام ابن تيمية على تلك الدراسة مستوعبا جهود السابقين مرسيا المجموعة من الأسس والمعايير المنهجية التي أدار عليها دراسته وعرض عليها أسفار العهد القديم، فانتهى إلى أن تلك الأسفار قد وقع بها التحريف: إما عمدا ، وإما خطأ في ترجمتها وتفسيرها وشرحها وتأويلها ، وذلك استنادا إلى مجموعة من البينات هي:

1 - انقطاع سند العهد القديم (التوراة، كتب الأنبياء).

2 - اختلاف نسخ العهد القديم وترجماته لدى اليهود والنصارى والسامرة.

3 - اختلاف نصوصه وألفاظه.

المحاضرة السادسة

الكتاب المقدس

(العهد الجديد)

العهد الجديد وسُمي باسم (العهد الجديد) حتى يميز عن العهد القديم، وذلك لأن العهدين قد نزلا على بني إسرائيل، فالأول كان في زمن موسى عليه السلام، والثاني في زمن عيسى عليه السلام. فالكتاب المقدس عند النصارى ليس كتاباً واحداً، و إنما هو كتابان اثنان أحدهما هو (العهد القديم) أو (التوراة)، والثاني هو (العهد الجديد)، والذي يتكون من سبع وعشرين رسالة، وهي الأناجيل الأربعة وتسمى بالأسفار التاريخية والرسائل التي تسمى بالأسفار التعليمية.

وتصنف رسائل العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات ورسالتين، فالمجموعات هي:(1)

(مجموعة الأناجيل وعددها أربعة ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشر رسالة، ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل وأما الرسالتين فهما: رسالة أعمال الرسل، ورسالة رؤيا يوحنا).

وينقسم العهد الجديد من حيث محتوياته إلى قسمين:

الأول: الرسائل التاريخية

الثاني: الرسائل التعليمية

أما الرسائل التاريخية فتشمل: الأناجيل الأربعة، بالإضافة إلى رسالة أعمال الرسل.

(1)وأما الأسفار التعليمية فتشمل اثنتين وعشرين رسالة وقد قام بتأليف أكثرها (بولس)

- الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم هي: إنجيل متى و إنجيل مرقص، و إنجيل لوقا، و إنجيل يوحنا. وهذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح، ولم تنزل عليه بوحي أوحي إليه، ولكنها كتبت من بعده، وتشتمل على أخبار المسيح، وما كان منه، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب، وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة، وما كان يحدث له من أحداث، وما كان يجري بينه وبين اليهود، وما كان يلقيه من أقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ، ثم أخبار المؤامرة عليه، واتهامه والقبض عليه، ومحاكمته.

إذا فإن هذه الأناجيل المعتمدة، ليست التي أنزلت على قلب المسيح من ربه، و إنما هي كلام التلاميذ وغير التلاميذ عن المسيح لا كلام المسيح ذاته، وإن كان كلام المسيح ذاته، أحياناً يذكر، حسبما تذكره ذاكرة راويه، أو حسبما يريد راويه أن يقوله.

والإنجيل كلمة يونانية، بمعنى الخبر السعيد، أو البشارة، وهذا المعنى أي البشارة، ورد في بعض نصوص الأناجيل الحالية، ففي إنجيل مرقص: "وبعد ما أسلم يوحنا، جاء ليسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: لقد كمل الزمان ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل". ورغم أن هذا التعريف لمعنى الإنجيل هو المتداول بين الباحثين، إلا أنه ليس التعريف الوحيد، ذلك أن علماء المسيحية يحاولون حتى الآن تحديد ماهية الإنجيل باعتبارها شيئاً لا يزال في حاجة إلى تحديد.

وفي واحدة من هذه المحاولات نجد (جون فنتون) يقول في مقدمة تفسيره لإنجيل متى: "إن أحد التعاريف الشائعة لكلمة الإنجيل: أنه الشيء الذي يمكن تصديقه". فهي تعني ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال يسوع و أفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة الزم نفسه بها. وهذا ما دعا نفراً من العلماء إلى تقرير أن الأناجيل لم تكن سيرة للمسيح أو مذكرات عن حياته، أو حتى حوادث تستحق التدوين سطرها أشخاص لتحكي تعاليمه، إنما الأناجيل عبارة عن تجميع لموضوعات متو اترة تناقلتها الكنيسة شفاهاً في أول الأمر، ثم كتبت فيما بعد وصنفت لتحقيق مطالب الكنيسة في التهذيب والعبادة والدفاع عن معتقداتها.

ويرى بعض الباحثين: إن اسم المؤلف أو الإنجيل إما أنه قد أبقي عليه بمحض الصدفة، أو أنه أضيف فيما بعد، كما حدث في القرن الثاني عندما جمعت الأناجيل معاً ثم أريد التمييز بينها بإضافة أسماء منفصلة لكل منها. ويقول النصارى بأنه كان يوجد بعد رفع المسيح مباشرة، كتاب يحتوي على أقوال المسيح، وكتاب يحتوي على سيرته، وأن الأناجيل الأربعة قد جمعت الأقوال والسيرة معاً، ثم إن الأقوال قد فقدت، والسيرة أيضاً.

- كيف اعتمدت الأناجيل الأربعة ؟

تم اعتماد الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية الذي عقده الإمبراطور الروماني عام (325م) بسبب الخلاف بين الموحدين الذين كانوا يقولون ببشرية عيسى، وبين المثلثين الذين قالوا بالثالوث وألوهية المسيح، وقد اعتمدها آباء الكنيسة بالاقتراع، أي بكثرة الأصوات وقرر المجمع إلغاء كل إنجيل أو رسالة لا تتفق مع عقيدة الوهية المسيح والاعتراف بقانونية الأناجيل الأربعة فقط، وإعدام ما سواها من الأناجيل. وهذا يعني أن الأناجيل التي اعتمدت لم تكن إلا جزءاً بسيطاً من قو ائم طويلة، تذكرها المصادر المسيحية لأناجيل كثيرة كانت معروفة بل ومعتمدة لدى فرق مسيحية معروفة في التاريخ.

ورغم أن الرو اية المسيحية المتداولة تقول إن اختيار الأناجيل الأربعة تمت عن طريق التصويت، إلا أن مصادر أخرى تقول أن طريقة اعتماد هذه الأناجيل تم بصورة غريبة عجيبة، فقد تقرر- وبسبب كثرة الأناجيل - أن توضع جميعها تحت طاولة في قاعة المجمع، ثم غادر كل شخص الغرفة و أقفل بابها، وطلب إلى الأساقفة أن يصلوا طيلة الليل من أجل أن ترتفع النسخة الصحيحة من الإنجيل إلى أعلى الطاولة، وفي الصباح وجدت الأناجيل المقبولة مرتبة بنظام على الطاولة، وعندئذ تقرر إتلاف جميع الأناجيل حرقاً بالنار وهي ما تبقى تحت الطاولة، ولا يوجد ما يشير إلى الشخص الذي احتفظ بالمفاتيح في تلك الليلة؟! وأصبح اقتناء إنجيل غير مرخص جريمة كبرى، ونتيجة لذلك فقد قتل أكثر من مليون مسيحي في السنوات التي تلت قرارات المجمع.

وقد بقيت لغة الكتاب المقدس حتى القرن السادس عشر (اللاتينية)، عندما قام رجال الإصلاح بترجمة الكتاب المقدس إلى لغات الشعوب، وقد ظهرت ترجمات أخرى بسرعة بعد ذلك، مما دعا الملك جيمس الأول في إنجلترا لأن يعين لجنة من أربعة وخمسين عالماً لإصدار ترجمة رسمية، وفي عام (1611) أصدروا (ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدس) والتي أصبحت المقياس بين المسيحيين لمئات السنين. ولكن في القرن التاسع عشر قرر المسيحيون أن يُحدثوا لغة ترجمة الملك جيمس، وسموه الترجمة الأمريكية القياسية)، وقد نشر عام (1901)، والمسيحيون الذين اشتغلوا في هذه الترجمة، لم يحدثوا اللغة فحسب، و إنما أدخلوا تغييرات على النص نفسه. وبعد عدد من السنين، فإن رجال الكنيسة اجتمعوا مرة أخرى وقرروا أن يحدثوا الترجمة الأمريكية

القياسية، ونتيجة لجهودهم نشرت (الترجمة القياسية المنقحة) في عام 1952. وفي عام (1989) تم إصدار الترجمة المنقحة القياسية (الجديدة)، وهي تحديث آخر للترجمة المنقحة القياسية الصادرة في عام 1952.

والنتيجة: أنه من خلال الاستنساخ على مدى السنين، والتراجم الجديدة المتنوعة، فإن ما يعرف بالكتاب المقدس هو الآن كتابات أشخاص عاديين أكثر مما هي وحياً من عند الله.

-محتويات الأناجيل الأربعة

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجديد ، وتستأثر وحدها في هذا العهد بحيز كبير يقرب من نصفه،وهى : إنجيل متى، إنجيل مرقص، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا

–أما **إنجيل متّى: فمؤلفه هو الرسول متى أحد الحواريين الاثني عشر. و إنجيله هو أقدم الأناجيل جميعاً إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى حوالى سنة ٦٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال. وقد ألفه متى باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة التي تكلمنا عليها، والتي كانت مستخدمة في المحادثة والكتابة في هذا العصر في فلسطين. ولكن هذا الأصل الآرامي لم يصل إلينا، و إنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية التي تمت عقب تأليفه مباشرة، أي حوالى سنة ٦٠ بعد الميلاد. ولا يظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التي كتب بها الأصل، وتتمثل هذه الآثار في نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية. ولا يعرف عن طريق يقيني مترجم هذا الإنجيل إلى اللغة اليونانية. ويقال أن متى نفسه هو الذي قام بترجمته ويروى ابن البطريق وكثير من مؤرخي العرب أن مترجمه هو يوحنا مؤلف الإنجيل الر ابع الذي سيأتي ذكره. ولا يعرف لهذا الرأي سند يعتد به.**

– **إنجيل مُرْقُص: مؤلفه هو القديس مرقص أحد التلاميذ السبعين. وقد ألفه على أرجح الأقوال حوالي سنة 63 أو 65 وألفه باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما يذكر بعض مؤرخي العرب ، وكان تأليفه إياه تحت إشراف أستاذه بطرس رئيس الحواريين. وبإرشاده ؛ وقد رجع إليه فى بعض حقائقه واستمد منه بعض الذكريات وبعض حوادث التاريخ .**

– **إنجيل لوقا: مؤلفه القديس لوقا، وهو أحد التابعين، وقد ألفه على أرجح الأقوال في العصر نفسه الذى ألف فيه مرقص إنجيله ، أى حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ ، وألفه باللغة اليونانية و افتتحه بعبارة تدل على أنه قد كتبه لعظيم يسمى ثيوفيلوس Theophile فهو يقول في فاتحته : « لقد كتب كثيرون في تاريخ الأحداث التي جرت لدينا (يقصد بين المسيحين الأولين) حسب ما نقل من هؤلاء الذين كانوا شهوداً لهذه الحوادث . ولما كنت قد قمت ببحث هذه الأحداث بحثاً دقيقا وتتبعتها من نشأتها الأولى ، لذلك رأيت من الخير أن أدونها لسعادتك أيها العظيم ثيوفيل في صورة مسلسلة حتى تقف على الرأى اليقيني في التعاليم التي تلقيتها ». ولم يحاول لوقا أن يعرف بهذا العظيم . ولذلك اختلف فيه : فقيل إنه كان مصرياً ؛ وقيل أنه أحد عظماء اليونان أو أحد**

علمائهم، وإلى هذا يذهب ابن البطريق وكثير من مؤرخى العرب. يقول ابن خلدون في مقدمته : « وكتب لوقا منهم إنجيله باللاتينية إلى بعض أكابر الروم ». (وكلمة الروم يطلقها العرب على اليونان، وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى غلبت الروم في أدنى الأرض).

- **إنجيل يوحنا:** ألفه الرسول يوحنا ، وهو أحد الحواريين الاثنى عشر ، ، وألفه باللغة اليونانية ، وكان تأليفه إياه حوالى سنة 90 بعد الميلاد على أرجح الأقوال ؛ فهو لذلك أحدث الأناجيل جميعا إذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة تبلغ زهاء ثلاثين عاما. ومع أن جميع النحل المسيحية في العصر الحاضر مجمعة على اعتماد هذا الإنجيل واعتباره مقدسا موحى به واعتماد صحة نسبته إلى يوحنا بن زبدى أحد الحواريين الاثنى عشر.

للتوسع ينظر (محاضرة5 و6):

- الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الأندلسي ج1
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج1-ج2
- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، محمد عبد الله شرقاوي.
- تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، يوسف كلام
- مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب
- العهد الجديد منشأه، تكوينه، تطوره، زبير محمد خليل
- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، مارسيا إلياد
- مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي
- مقارنة الأديان المسيحية، أحمد شلبي

المحاضرة السابعة

عقيدة التثليث عند النصارى

قبل الخوض في بيان عقيدة التثليث النصرانية، كان لزاما علينا التعريف بالنصرانية، والوقوف على الفرق بينها وبين المسيحية[12].

أولا: التعريف بالنصرانية

في اللغة: أصل هذه الكلمة محلُّ خلاف بين اللغويين ؛ فمنهم من أرجعها إلى (نصرانة) أو نصراتة، وهي بلد المسيح في أرض فلسطين، والتي يطلق عليها الآن اسم (الناصرة) وهي قرية في الجليل؛ ولذلك كان المسيح عليه السلام يُعرف بالجليلي، كما جاء في إنجيل متى: (أَمَّا بُطْرُسُ (٣) فَكَانَ جَالِسًا خَارِجًا فِي الدَّارِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةٌ: «وَ أَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ !)، ومنهم من أرجعها إلى (نَصْرة) وهي كلمة آرامية تنطق في اللسان السرياني (نصرة)،تعبر عن نصارى المشرق. ومنهم من ذكر أنها ترجع إلى فرقة يهودية قديمة.

ويذهب الرازي المفسِّر إلى أن النصارى أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية نسبة إلى نصرة الله، وإلى قول النصارى لعيسى عليه السلام (نحن أنصار الله)، وأن هذا الاسم الحقيقة اسم مدح فبيّن الله - تعالى - أنهم يدعون هذه الصفة، ولكنهم ليسوا موصوفين بها عند الله - تعالى.

وفي الاصطلاح: النصارى هم أتباع المسيح عيسى ابن مريم ، والنصرانية هي (الديانة التي تعزو أصلها إلى يسوع» من سكان الناصرة، وتعتبره مختاراً مسيحاً من الله) ، أو يقال: إن النصرانية هي الديانة التي يزعم أتباعها أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم هو الإنجيل. ويفضّل كثير من النصارى المعاصرين تسميتهم بالمسيحيين؛ لأنهم يرون أنها التسمية الصحيحة للديانة التي يعتنقونها ، ويرون أن تسمية القرآن الكريم لهم بالنصارى هو نوع من اللمز أو لا تُعَبِّر عنهم).

والتسمية بالنصارى وردت في نصوص الوحيين، ومن ذلك :١. قوله - تعالى - : إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهِ [البقرة: ٦٢]. وقوله - تعالى -: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَب كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا

[12] ينظر في ذلك: الروم الأرثودوكس عرض ودراسة في ضوء العقيدة الإسلامية، عبد الله الشهري، مركز الفكر الغربي للنشر والتوزيع، الرياض–المملكة السعودية، ط1، (2017م).

يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣].. وقوله تعالى -: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٢٠].

كما وردت تسميات أخرى في الكتاب العزيز؛ ومن ذلك تسميتهم بأهل الكتاب، كما قال - تعالى : "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ لتَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَة انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١].وفي السنة النبوية: عن ابن عباس ، أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله).

ثانيا: عقيدة التثليث في اعتقاد النصارى

جميع فرق النصارى على القول بالتثليث، وهو عندهم يطلق على وجود ثلاثة أقانيم في جوهر واحد وهي الآب والابن والروح القدس(1)ويمكن تلخيص عقيدة التثليث - كما جاءت في قاموس الكتاب المقدس – عند النصارى في هذه النقاط :

- الكتاب المقدس يقدم ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله .
- هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب المقدس بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى..
- هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً، بل أبدي وحقيقي.
- هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد.
- الشخصيات الثلاث الآب والابن والروح القدس) متساوون.
- . ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة بل تقدم المفتاح لفهم باقي العقائد النصرانية .

هذه العقيدة هي أشهر عقائد النصارى وأهمها عندهم، وعليها إجماعهم، وقد كان أول من أدخل تعبير الثالوث إلى النصرانية (ترتليان) سنة ٢٠٠ م، بينما يرى القس حنًّا الخضري أن أوّل شخص استعمل كلمة ثالوث في تاريخ العقيدة المسيحية هو أسقف أنطاكية ، وقد أقرَّتْ هذه العقيدة في مجمع نيقية. وكلمة التثليث لم ترد في الكتاب المقدس ؛ لذلك حاول النصارى الاستدلال بأدلة من الكتاب المقدس يفهم منها التثليث بزعمهم، ومنها :

الأدلة التي جاءت فيها ألفاظ الجمع والكثرة، و أنه لا يمكن تفسيرها إلا بالتثليث،١. (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ)، وأن اسم الله (ألوهيم) في الأصل العبراني بصيغة الجمع، (وأن لفظ ألوهيم الذي ورد في العهد القديم

ألفي مرة، يشير بجلاء إلى التثليث في شخص الله، التثليث الذي اتضح بالتدريج في الإعلانات الإلهية عن الله الواحد الأحد، حتى أشرق نوره تماما في العهد الجديد. (نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا).

فإذا كانت الرواية المسيحية تنسب الألوهية للمسيح عليه السلام، فإن القرآن الكريم بين أن فالمسيح عليه السلام بعث بالتوحيد ونبذ الشرك إلى بني إسرائيل خاصة وهو في الثلاثين من عمره، قال - تعالى: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَعَامُ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: 75]، وقال - تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف : 63-64] ، وقال – سبحانه: ﴿وإذ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَاءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّ قَالِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَيَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَ هُم بِالْبَيِّنَتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : 6].

وقد جاء في الإنجيل ما يشهد للمسيح عليه السلام بالدعوة إلى التوحيد ومنابذة الشرك، ومن ذلك: (فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَ إِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ)). (كَلَّمَ يَسُوعُ بِهَذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الْآَبُ، قَدْ أَتتِ السَّاعَةُ مَجدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنَكَ أيضاً، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ، هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيُّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ المَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ) ، (فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «أَنَّهُ وَصِيَّة هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّالْوَصَايَا هِيَ اسْمَعْ يَا إِسْرَ ائِيلُ : الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبِّ وَاحِدٌ).

ودعوته عليه السلام جاءت داعية للالتزام بشريعة النبي موسى عليه السلام، قال تعالى: "وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئتُكُم بِبيِنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاط مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١]. فكانت دعوته في بني إسرائيل خاصة، كما جاء في وصيته للحواريين: (هؤلاء الاثنا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «إِلَى طَرِيقِ أَمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَلا تَدْخُلُوا بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى حَرَافِ بَيْتِ إِسْرَ ائِيلَ الضَّالَّةِ) (٤).(فَأَجَاب بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبَعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا ؟ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيُّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنتُمْ - أيضاً - عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطُ إِسْرَ ائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ) () أَجَابَ وَقَالَ: لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِإِ سْرَ ائِيلَ الضَّالة" .

- **ملاحظة: يراجع في عقيدة التثليث المسيحية: (كتاب مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان- الأردن، ط1، (2008م)، ص(306-311)**

للتوسع ينظر:

- وصف تاريخي لتحريف نصين مهمين من الكتاب المقدس: "التثليث والتجسد"، إسحاق نيوتن، ترجمة: هيثم سمير، نماء للبحوث والدراسات، بيروت-لبنان، ط1، 2016.
- الرؤية الميثولوجية لعقدية التثليث المسيحية، منير تمودن، دار صفحات، دمشق-سوريا، ط1، (2016).